344118 ـ هل الأنثى في الإسلام مهانة؟

السؤال

ما حكم إهانة الأنثى والتقليل من شأنها، استدلال بقول الله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)، وقوله تعالى (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)، وقوله تعالى (أمدكم بأنعام وبنين)، ومن السنة أننا أكثر أهل النار؟ كنت أحب البنات وقد صرت أخشى أن أمدح الأنثى خوفاً من أني بذلك أخالف شرع الله تعالى، حتى صرت أنتقص الأنثى مخافة مخالفة الآيات، وأنا أنثى، حتى إذا كنت أحب بنات أخي الصغيرات، وأستمتع بمجالستهن أتعوذ بالله، أخشى أني أعتبرهم من زينة الحياة، والله تعالى قد خص البنين فقط. وهل قول الله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) تشمل الإناث؟ هل بني مثل أولاد تشمل كلا الجنسين؟ أم مثل بنين وبنون تشمل الذكور فقط؟

ملخص الإجابة

1- الأنثى في الإسلام ليست مهانة.

2- ما ورد في آيات القرآن من وصف البنين بالزينة، هو إخبار عن واقع الناس، وليس فيها إرشاد إلى الافتخار بالبنين، ومحبتهم دون البنات.

3- إهانة البنات خلق أهل الجاهلية وليس من خلق أهل الإسلام.

4- تكريم الله لبني آدم يشمل النساء كما يشمل الرجال.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الأخت الكريمة ما ذكر في السؤال من إهانة الأنثى وتقليل من شأنها هو أمر مجانب للصواب:

أولاً :

بيان وصف القرآن البنين بزينة الحياة

ما ورد في آيات القرآن من وصف البنين بالزينة، هو إخبار عن واقع الناس، وليس أمرا بذلك، فالعادة أن الرجل يتزين بين الناس في المجالس بكثرة أولاده الذكور الذين يعينونه وينصرونه، فنبه الله تعالى أهل الكفر إلى هذه المنة العظيمة التي يجب

أن يقابلوها بشكر الله تعالى وليس بالكفر.

كقول الله تعالى: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ النحل/72.

وقول الله تعالى: الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا الكهف/46.

وقول الله تعالى عن دعوة هود عليه السلام لقومه:

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ الشعراء/131 ـ 135.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

"(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ... وذكر البنين دون البنات لأنه جرت العادة أنهم لا يفتخرون إلاَّ بالبنين، والبنات في الجاهلية مهينات بأعظم المهانة كما قال الله عز وجل: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)، أي صار وجهه مسودا وقلبه ممتلئا غيظا...

وقوله تعالى: (زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي أن الإنسان يتجمل به يعني يتجمل أنّ عنده أولادا، قَدِّر نفسك أنك صاحب قِرى يعني أنك مضياف وعندك شباب عشرة، يستقبلون الضيوف، تجد أن هذا في غاية ما يكون من السرور، هذه من الزينة، كذلك قَدِّر نفسك أنك تسير على فرس وحولك هؤلاء الشباب يَحُفُّونك من اليمين ومن الشمال ومن الخلف ومن الأمام، تجد شيئاً عظيماً من الزينة..." انتهى من "تفسير سورة الكهف" (ص 78 – 79).

فالحاصل؛ أن الآيات مبينة لمنة الله على عباده وليس فيها إرشاد إلى الافتخار بالبنين، ومحبتهم دون البنات.

ثانيا:

الرحمة بالبنات والإحسان إليهن أمر جاء به الإسلام

على المسلم أن يكون رحيما ببناته محبا لهن ومحسنا إليهن، فبهذا أمر الشرع.

عن عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: "جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: (مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ) رواه البخاري (5995)، ومسلم (2629).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ. ـ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ ـ رواه مسلم (2631).

ومن ذلك عن جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، وَيَكْفُلُهُنَّ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ .

قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ؟

قَالَ: وَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ .

قَالَ: فَرَأَى بَعْضُ الْقَوْمِ، أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ وَاحِدَةً، لَقَالَ: وَاحِدَةً .

رواه الإمام أحمد في "المسند" (22 / 150)، وصححه محققو المسند، وذكره الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (6 / 397).

والله تعالى قد أمرنا بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال سبحانه وتعالى:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا الأحزاب/21.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان محبا لابنته رحيما بها.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: "إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ تَمْشِي، لاَ وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي ، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ..." رواه البخاري (6285)، ومسلم (2450).

و في رواية عند الترمذي (3872)، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلًّا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَتْ: وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا...".

وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عَائِشَةَ".

وعَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي رواه البخاري (3714)، ومسلم (2449).

إهانة البنات خلق أهل الجاهلية

وأما إهانة البنات فهو خلق أهل الجاهلية وليس من خلق أهل الإسلام.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

" قال الله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ).

... أخبر سبحانه أن ما قدَّره بين الزوجين من الولد، فقد وهبهما إياه، وكفى بالعبد تعرُّضا لمقته أن يتسخط ما وهبه.

وبدأ سبحانه بذكر الإناث...

والمقصود: أن التسخط بالإناث من أخلاق الجاهلية الذين ذمهم الله تعالى في قوله: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

وقال تعالى: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ...

وقد قال تعالى في حق النساء: فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا.

وهكذا البنات أيضا قد يكون للعبد فيهن خير في الدنيا والآخرة، ويكفي في قبح كراهتهن أن يكره ما رضيه الله وأعطاه عبده.

وقال صالح بن أحمد: كان أبي إذا ولد له ابنة، يقول: الأنبياء كانوا آباء بنات...

وقال يعقوب بن بختان: ولد لي سبع بنات، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي: يا أبا يوسف! الأنبياء آباء بنات. فكان يذهب قوله همي " انتهى من "تحفة المودود" (ص 24 – 31).

وقد أمر الله تعالى بالعدل بين الأولاد.

عَنْ النُّعْمَان بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ رواه البخاري (2587)، ومسلم (2587).

و ذهب بعض أهل العلم إلى التسوية بينهم حتى في القبلة، إذا قبل أحدهم، قبل أولاده الآخرين ذكورا وإناثا.

قال الترمذي رحمه الله تعالى:

" وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ، يَسْتَحِبُّونَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الوَلَدِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: يُسَوِّي بَيْنَ وَلَدِهِ حَتَّى فِي القُبْلَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُسَوِّي بَيْنَ وَلَدِهِ فِي النُّحْلِ وَالعَطِيَّةِ، يَعْنِي الذَّكَرُ وَالأُنْثَى سَوَاءٌ " انتهى من"سنن الترمذي" (3 / 640).

فتقبيل الذكور ومحبتهم والإحسان إليهم، دون الإناث : هو من الظلم وليس من العدل.

ثالثا:

بيان المراد بحديث: فإني رأيتكن أكثر أهل النار

وأما إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن النساء أكثر أهل النار، فلا علاقة لذلك بعدم محبتهن، أو كراهة إنجابهن. فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الحديث للصحابيات لحثهن على فعل الخير، وليس لذمّهن.

كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ .

فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ، مِنْ إِحْدَاكُنَّ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ رواه البخاري (1462)، ومسلم (80).

فالأنثى إذا عملت صالحا فهي مبشرة بالجنة كالرجل.

قال الله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا النساء /124.

وقال الله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ النحل/97.

هل تكريم الله لبني آدم يشمل النساء؟

وأما قول الله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا الإسراء/70.

فهذا التكريم شامل للنساء، فإن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ رواه أبو داود (236)، والترمذي (113)، وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (6 / 860).

قال الخطابي رحمه الله تعالى:

" وقوله: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ)، أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع، فكأنهن شُقِقْن من الرجال.

وفيه من الفقه: إثبات القياس، وإلحاق حكم النظير بالنظير، وأن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور، كان خطابا للنساء، إلا مواضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها" انتهى من "معالم السنن" (1 / 79).

ومدار الكرامة في الإسلام على التقوى وليس على الذكورة، فمن كان أتقى فهو أكرم عند الله تعالى.

قال الله تعالى: {أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات/13.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟

قَالَ: أَتْقَاهُمْ رواه البخاري (3353)، ومسلم (2378).

والله أعلم.